الآليات التداولية في تفسير أضواء البيان للشنقيطي

تحديد المفاهيم النظرية

أ.سعد بولنوار
جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)

Abstract :

We dealt with Adhwa'a-albayan exegesis of Shanqeeti by analysis and exploring, looking for (seeking, thereby) the pragmatic mechanisms used by him to clear the aimed meaning, in order to determine, hereafter the global theorical concepts from this application "corpus" which is the exegesis

We assessed, the following details: the presupposing, the implicits, verbal acts, the context of arguments, and there are mechanisms related to Quran sciences like : context of causes of downcoming (revelation), context of Mecca and Medina sourats, and the context of the Quranic miracles, context of out Quran examples, context doctrines .

إن الآليات التي تتعلق بالبنية والدلالة ليست وحدها المهيمنة على تفسير الشنقيطي، ولكن توجد آليات أخرى غير لغوية ومنها التداولية أسهمت في تشكيل خطابه بشكل أو بآخر، إذ تهيمن هذه المرتكزات إذا ما أخذ المعنى وجهة تفوق الخطية إلى الاستناد على السياق الخارجي في تحديد معالمه، وهذا له أبلغ الأثر، في أن المعنى لا يكمن في بنية اللغة وحدها وإنما في الموجهات القرائنية لسياق القول كذلك، وقد اهتم العلماء اهتماما بالغا بهذا الجانب، سواء منهم الغربيون أو العلماء العرب خصوصا منهم الأصوليون والمناطقة وبعض اللغويين، وخطاب التفسير الذي بين أيدينا لا يخلو من هذا الذي نتحدث عنه، في أنه يتضمن الكثير من القضايا التداولية مثل العلاقة الجدلية بين الإنشاء والخبر ما يسمى بالفعل الكلامي في تطرقه لآيات خبرية في الظاهر ولكنها إنشائية في جانب آخر، والقضية التي تتعلق بالحجاج أو الاحتجاج والاستشهاد حسب المصطلح الذي يستعمله الشنقيطي، وبعض مما يتعلق بالافتراضات المسبقة، وبعض مما يتعلق بالأقوال المضمرة أو الإضمارات .. إضافة إلى استعماله لعلوم القرآن، ما يمكن أن يصطلح عليه بسياق الموقف، وآثرنا منها أسباب النزول ومعرفة المكي والمدني، هذا زيادة لسياق مهم آخر وهو سياق الإعجاز . هذه كلها قضايا تناولها الشنقيطي وبيان هذا من الناحية التطبيقية فيما يلي

I.آليات السياق التداولية و غير اللغوية :

استعمل الشنقيطي آليات كثيرة غير التي تحدثنا عنها في الباب الأول، آليات تداولية من جهة و آليات غير لغوية من جهة أخرى، لأن المدونة القرآنية لا تحتاج إلى المقاربات النصية فقط، و لكن تحتاج ما هو متوفر من علوم و معارف في السياق الخارجي، و هذه الآليات كثيرة كثرة لا تحصى على الصورة المتكاملة، لعلوقها بميادين متفرعة و متشعبة، فقد استعمل الشنقيطي آليات تتصل بالإستراتيجية التداولية، و منها الافتراضات المسبقة، و الأقوال المضمرة، و الأفعال الكلامية، و ما يتصل بالحجاج، و الاستشهاد بغير القرآن فضلا عن مقاربته القرآن بالقرآن، و استعمل ما يقع في دائرة علوم القرآن أو ما يمكن أن نسميه في بعض مناحيه بسياق الموقف، من مثل معرفة أسباب النزول و معرفة المكي و المدني، ثم ما يمكن أن يتوصل من مظاهر الإعجاز، و معرفة مظاهر الإعجاز ركن من أركان علوم القرآن، فماذا يمكن أن نجد في استعمالات الشنقيطي من آليات تداولية ؟

- **سياق الافتراض :**

ينتمي الافتراض المسبق إلى الجهاز المفاهيمي للإستراتيجية التداولية، و هو يحدد على أساس معطيات لغوية، و"يرى التداوليون أن الافتراضات المسبقة ذات أهمية قصوى في عملية التواصل و الإبلاغ، ففي التعليميات Didactique تم الاعتراف بدور الافتراضات المسبقة منذ زمن طويل، فلا يمكن تعليم الطفل معلومة جديدة إلا بافتراض وجود أساس سابق يتم الانطلاق منه و البناء عليه. أما مظاهر سوء التفاهم المنضوية تحت التواصل السيئ فلها سبب أصلي مشترك هو ضعف أساس الافتراضات المسبقة الضروري لنجاح كل تواصل كلامي"[1]، فمن هذا المنطلق وجدنا الشنقيطي يستعمل إجراء هذا المفهوم في بعض الحيثيات، و هذه شواهد تؤكد ما ذهب إليه الشنقيطي :

- في قوله تعالى : ﴿**فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا**﴾[الكهف:65] .

يقول الشنقيطي : " وَقَدْ دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ : أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كُلَّهُمْ **لَوْ فُرِضَ** أَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ مُكَلَّفُونَ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَانُوا كُلُّهُمْ أَتْبَاعًا لَهُ وَتَحْتَ أَوَامِرِهِ ، وَفِي عُمُومِ شَرْعِهِ ، كَمَا أَنَّ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامَهُ عَلَيْهِ لَمَّا اجْتَمَعَ بِهِمُ الْإِسْرَاءُ رُفِعَ فَوْقَهُمْ كُلِّهِمْ ، وَلَمَّا هَبَطُوا مَعَهُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَحَانَتِ الصَّلَاةُ أَمَرَهُ جِبْرِيلُ عَنْ أَمْرِ

اللَّهِ أَنْ يَؤُمَّهُمْ ، فَصَلَّى بِهِمْ فِي مَحَلِّ وَلَايَتِهِمْ وَدَارِ إِقَامَتِهِمْ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ ، وَالرَّسُولُ الْخَاتَمُ الْمُبَجَّلُ الْمُقَدَّمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

فَإِذَا عُلِمَ هَذَا ، وَهُوَ مَعْلُومٌ عِنْدَ كُلِّ مُؤْمِنٍ ، عُلِمَ **أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْخَضِرُ حَيًّا** لَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ أُمة محَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمِمَّنْ يَقْتَدِي بِشَرْعِهِ لَا يَسَعُهُ إِلَّا ذَلِكَ ، هَذَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْه السَّلَامُ إِذَا نَزَلَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَحْكُمُ بِهَذِهِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ ، لَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَلَا يَحِيدُ عَنْهَا ، وَهُوَ أَحَدُ أُولِي الْعَزْمِ الْخَمْسَةِ الْمُرْسَلِينَ ، وَخَاتَمُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَالْمَعْلُومُ أَنَّ الْخَضِرَ لَمْ يُنْقَلْ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ وَلَا حَسَنٍ تَسْكُنُ النَّفْسُ إِلَيْهِ أَنَّهُ اجْتَمَعَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، وَلَمْ يَشْهَدْ مَعَهُ قِتَالًا فِي مَشْهَدٍ مِنَ الْمَشَاهِدِ ، وَهَذَا يَوْمُ بَدْرٍ يَقُولُ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ فِيمَا دَعَا بِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَاسْتَنْصَرَهُ وَاسْتَفْتَحَهُ عَلَى مَنْ كَفَرَهُ : «اللَّهُمَّ إِنَّ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ لَا تُعْبَدُ بَعْدَهَا فِي الْأَرْضِ» وَتِلْكَ الْعِصَابَةُ كَانَ تَحْتَهَا سَادَةُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ ، وَسَادَةُ الْمَلَائِكَةِ حَتَّى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ"[2] .

– في قوله تعالى : ﴿ **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى** ﴾[طه:120] . فالافتراض المسبق في هذه الحالة أن الشيطان قد أخرج صاغرا من الجنة ، فكيف وسوس لآدم و حواء و هما في الجنة ؟

فيقول الشنقيطي : "وَ الْمُفَسِّرُونَ يَذْكُرُونَ فِي ذَلِكَ قِصَّةَ الْحَيَّةِ ، وَأَنَّهُ دَخَلَ فِيهَا فَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ ، وَالْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ بِهَا لَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ . وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ . وَالْوَاقِعُ أَنَّهُ لَا إِشْكَالَ فِي ذَلِكَ ، لِإِمْكَانِ أَنْ يَقِفَ إِبْلِيسُ خَارِجَ الْجَنَّةِ قَرِيبًا مِنْ طَرَفِهَا بِحَيْثُ يَسْمَعُ آدَمُ كَلَامَهُ وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِمْكَانُ أَنْ يُدْخِلَهُ اللَّهُ إِيَّاهَا لِامْتِحَانِ آدَمَ وَزَوْجِهِ ، لَا لِكَرَامَةِ إِبْلِيسَ . فَلَا مُحَالَ عَقْلًا فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ . وَالْقُرْآنُ قَدْ جَاءَ بِأَنَّ إِبْلِيسَ كَلَّمَ آدَمَ ، وَحَلَفَ لَهُ حَتَّى غَرَّهُ وَزَوْجَهُ بِذَلِكَ .

وَقَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ أَضَافَ الشَّجَرَةَ إِلَى الْخُلْدِ وَهُوَ الْخُلُودُ . لِأَنَّ مَنْ أَكَلَ مِنْهَا يَكُونُ فِي زَعْمِهِ الْكَاذِبِ خَالِدًا لَا يَمُوتُ ، وَلَا يَزُولُ ، وَكَذَلِكَ يَكُونُ لَهُ فِي زَعْمِهِ مُلْكٌ لَا يَبْلَى أَيْ : لَا يَفْنَى ، وَلَا يَنْقَطِعُ . وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ قَوْلَهُ هُنَا وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى يَدُلُّ لِمَعْنَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ ﴾ [الأعراف:20] بِكَسْرِ اللَّامِ . وَقَوْلُهُ ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف:20] ، هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ فِي «طه» : ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ ﴾ [طه:120]"3 .

هذا كان في إطار ما يسمى بالافتراض، و قد كانت هناك الكثير من الشواهد التي أدرجناها حتى تبرز مكامن آلية الافتراض بصورة أوضح، مع أنه يوجد الكثير غير ذلك، و قد بين لنا الافتراض هنا معلومات إضافية، إن في مستوى الآية نفسها، أو في علاقة الآية بغيرها من الآيات، أو في علاقتها بالأحداث التاريخية، و إذا كان هذا في مستوى الافتراضات المسبقة، فماذا عن الأقوال المضمرة ؟

- **سياق الإضمار :**

فإن كان الافتراض المسبق يحدد على أساس معطيات لغوية من السياق الكلامي بالأساس، فإن الأقوال المضمرة ترتبط بوضعية الخطاب و مقامه و ملابساته، و هي تفتح المجال لتنوع الأقوال في سياق الخطاب المقامي، فتكثر المسائل المتعلقة بالقضية الواحدة، و كل مسألة تختلف عن الأخرى لتناولها جانباً فرضته مقولات طرحها السياق الخارجي، فماذا يمكن أن نجد في خطاب الشنقيطي من أقوال نتجت بفعل استقراء الظاهرة ؟

- في قوله تعالى : ﴿ **وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28)** ﴾[يوسف] . يقول الشنقيطي: "وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الشَّاهِدِ فِي قَوْلِهِ : وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا [يوسف:26] .

فَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : **هُوَ صَبِيٌّ فِي الْمَهْدِ** ، وَمِمَّنْ قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَالضَّحَّاكُ ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا **أَنَّهُ رَجُلٌ ذُو لِحْيَةٍ** ، وَنَحْوَهُ عَنِ الْحَسَنِ .

وَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّهُ ابْنُ عَمٍّ لَهَا كَانَ حَكِيمًا ، وَنَحْوَهُ عَنْ قَتَادَةَ ، وَعِكْرِمَةَ .

وَ عَنْ مُجَاهِدٍ **أَنَّهُ لَيْسَ بِإِنْسِيٍّ ، وَلَا جَانٍّ** ، هُوَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ .

قَالَ مُقَيِّدُهُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ : قَوْلُ مُجَاهِدٍ هَذَا يَرُدُّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : مِنْ أَهْلِهَا [12 \ 26] ; لِأَنَّهُ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ إِنْسِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْمَرْأَةِ . وَأَظْهَرُ الْأَقْوَالِ : **أَنَّهُ صَبِيٌّ** ، لِمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَابْنُ جَرِيرٍ ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ وَهُمْ صِغَارٌ : ابْنُ مَاشِطَةِ فِرْعَوْنَ ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ ، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ»"[4] .

- أيضا في قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا** ﴾[الحجر:16] .

فيقول الشنقيطي : "وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمُرَادِ بِالْبُرُوجِ فِي الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : **الْبُرُوجُ : الْكَوَاكِبُ** ، وَمِمَّنْ رُوِيَ عَنْهُ هَذَا الْقَوْلُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ . وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ : **أَنَّهَا الْكَوَاكِبُ الْعِظَامُ** ، وَقِيلَ : **هِيَ قُصُورٌ فِي السَّمَاءِ عَلَيْهَا الْحَرَسُ** . وَمِمَّنْ قَالَ بِهِ عَطِيَّةُ ، وَقِيلَ : **هِيَ مَنَازِلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ** ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ . وَ أَسْمَاءُ **هَذِهِ الْبُرُوجِ : الْحَمَلُ وَالثَّوْرُ وَالْجَوْزَاءُ وَالسَّرَطَانُ وَالْأَسَدُ وَالسُّنْبُلَةُ وَالْمِيزَانُ وَالْعَقْرَبُ وَالْقَوْسُ وَالْجَدْيُ وَالدَّلْوُ وَالْحُوتُ** .

قَالَ مُقَيِّدُهُ – عَفَا اللَّهُ عَنْهُ – : أَطْلَقَ تَعَالَى فِي ((سُورَةِ النِّسَاءِ)) الْبُرُوجَ عَلَى الْقُصُورِ الْحَصِينَةِ فِي قَوْلِهِ : ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء:78] وَمَرْجِعُ الْأَقْوَالِ كُلِّهَا إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ . لِأَنَّ **أَصْلَ الْبُرُوجِ فِي اللُّغَةِ الظُّهُورُ** ، وَمِنْهُ تَبَرُّجُ الْمَرْأَةِ بِإِظْهَارِ زِينَتِهَا ، فَالْكَوَاكِبُ ظَاهِرَةٌ ، وَالْقُصُورُ ظَاهِرَةٌ ، وَمَنَازِلُ الْقَمَرِ وَالشَّمْسِ كَالْقُصُورِ ، بِجَامِعِ أَنَّ الْكُلَّ مَحَلٌّ يُنْزَلُ فِيهِ ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى"[5] .

– و في قوله تعالى : ﴿ **وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا** ﴾[النازعات:1] .

يقول الشنقيطي : "أَمَّا الْمُرَادُ بِـ «النَّازِعَاتِ غَرْقًا» هُنَا ، فَقَدِ اخْتُلِفَ فِيهِ إِلَى **حَوَالِي عَشَرَةِ أَقْوَالٍ** مِنْهَا : أَنَّهَا الْمَلَائِكَةُ تَنْزِعُ الْأَرْوَاحَ ، وَالنُّجُومُ تَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ ، وَالْأَقْوَاسُ تَنْزِعُ السِّهَامَ ، وَالْغُزَاةُ يَنْزِعُونَ عَلَى الْأَقْوَاسِ ، وَالْغُزَاةُ يَنْزِعُونَ مِنْ دَارِ الْإِسْلَامِ إِلَى دَارِ الْحَرْبِ لِلْقِتَالِ ، وَالْوُحُوشُ تَنْزِعُ إِلَى الطَّلَا ، أَيِ : الْحَيَوَانُ الْوَحْشِيُّ"[6] .

أبان استعمال الأقوال المضمرة وجهات تأويلية مختلفة، و قد ضمن الشنقيطي كلامه في هذا الأقوال التي اختلف فيها ما بين المفسرين و العلماء حول قضية بعينها، و لذلك اشتمل خطابه بالتنوع و الشمولية، هذا كان في الإضمار القولي، فماذا عن الأفعال الكلامية ؟

- **سياق الفعل الكلامي :**

إن الفعل الكلامي أداة إجرائية فعالة في تقسيم الظاهرة الإنشائية، و تمييزها عن الخبرية، إذ هو المنجز بواسطة الكلام، و أكثر ما يوجد في الإنشاءات غير الطلبية، مثل ألفاظ العقود و المعاهدات بما هو إيقاع للفظ، في علاقة تناظرية بما يسمى اتجاهات المطابقة ما بين القول و العالم أو العكس، غير أن الفعل الكلامي لا يجيء إنشائيا خالصاً، و لكنه قد يجيء عن طريق الإخبار، و هو ما يورد بكثرة في تفسير الشنقيطي، فلنلاحظ مستوى ورود الفعل الكلامي في تفسيره :

- **خبر أريد به الإنشاء :** في قوله تعالى : ﴿ **و لأمرنهم فليغيرن خلق الله** ﴾ [النساء:119]

يقول الشنقيطي في هذا " قال بعض العلماء : معنى هذه الآية أن الشيطان يأمرهم بالكفر وتغيير فطرة الإسلام التي خلقهم الله عليها ، وهذا القول يبينه ويشهد له قوله تعالى : { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ الله التي فَطَرَ الناس عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله } [الروم:30] إذ المعنى على التحقيق لا تبدلوا فطرة الله التي خلقكم عليها بالكفر . فقوله : { لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله } خبر أريد به الإنشاء إيذاناً بأنه لا ينبغي إلا أن يمتثل ، حتى كأنه خبر واقع بالفعل لا محالة ، ونظيره قوله تعالى : { فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ } [البقرة:197] الآية أي : لا ترفثوا ، ولا تفسقوا ، ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال النَّبي صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تجدون فيها من جدعاء » وما رواه مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار بن أبي حمار التميمي . قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم » "[7] .

- كذلك في قوله تعالى : ﴿ **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[المجادلة:22] .

يقول الشنقيطي في هذا الموضع: "وردت هذه الآية الكريمة بلفظ الخبر ، والمراد بها الإنشاء ، وهذا النهي البليد ، والزجر العظيم مولاة أعداء الله ، وإيراد الإنشاء بلفظ الخبر أقوى و أوكد ، من إيراده الإنشاء ، كما هو معلوم في محله ، ومعنى قوله { يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ الله وَرَسُولَه } : أي يحبون ويوالون أعداء الله ورسوله.

و ما تضمنته هذه الآية الكريمة من النهي والزجر العظيم عن مولاة أعداء الله جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى : { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ في إِبْرَاهِيمَ والذين مَعَهُ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءآؤاْ مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العداوة و البغضآء أَبَداً حتى تُؤْمِنُواْ بالله وَحْدَهُ } [الممتحنة : 4] . وقوله تعالى : { مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ الله والذين مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الكفار رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ } [الفتح : 29] وقوله

تعالى : { فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى المؤمنين أَعِزَّةٍ عَلَى الكافرين } [المائدة : 54] . وقوله تعالى : { وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً } [التوبة : 123] الآية . وقوله تعالى : { يا أيها النبي جَاهِدِ الكفار والمنافقين و اغلظ عَلَيْهِمْ } [التوبة:73]"[8]

- **سياق الحجاج :**

يعد الحجاج أو المحاجة آلية مهمة تبنتها أغلب بحوث تحليل الخطاب المعاصرة، و تكمن أهميتها في انطباقها السهل و اليسير على جل المدونات التي يعنيها الدرس التداولي بالتحليل، و لذلك فإن الحجاج يراعى من قبل "منظورات ثلاثة كبرى: منطقي و لغوي و محادثي .

المنظور المنطقي: يرى اعتماد منطق خاص باللغات الطبيعية. و تجسد هذا التمشي نظريتان أساساً : اللسانيات النفسية المعرفية و علم الدلالة المنطقي..

المنظور اللغوي: إنه منظور يتبلور في أبحاث أوزفالد ديكرو عن الحجاج في اللغة. و بخلاف المنظور السابق فإن البنى الحجاجية ليست ذات طبيعة منطقية، و لكنها لغوية بالأساس..

المنظور المحادثي: إذا كانت البنية المنطقية للتفكير في منشأ اللغة، فإن الخطاب و التبادلات اللغوية هي مصبها"[9]، لذلك فهو موجود في هذا الخطاب التفسيري، في هذه النماذج:

- في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47)** ﴾[مريم] . يقول الشنقيطي في سياق الآية : "بين جل وعلا في هاتين الآيتين الكريمتين : إن إبراهيم لما نصح أباه النصيحة المذكورة مع ما فيها من الرفق واللين ، و إيضاح الحق والتحذير من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر . ومن عذاب الله تعالى وولاية الشيطان- خاطبه هذا الخطاب العنيف ، وسماه باسمه ولم يقل له يا بني في مقابلة قوله له يا أبت . وأنكر عليه أنه راغب عن عبادة الأوثان أي معرض عنها لا يريدها . لأنه لا يعبد إلا الله وحده جل وعلا . وهدده جل وعلا . وهدده بأنه إن لم ينته عما يقوله له ليرجمنه (قيل بالحجارة وقيل باللسان شتماً) والأول أظهر . ثم أمره بهجره ملياً أي زماناً طويلاً ، ثم بين أن إبراهيم قابل أيضاً جوابه العنيف بغاية الرفق واللين في قوله : { قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ ربي } الآية . وخاطب إبراهيم لأبيه الجاهل بقوله { سَلاَمٌ عَلَيْكَ } قد بين جل وعلا أنه خطاب عباده المؤمنين للجهال إذا خاطبوهم ، كما قال تعالى : {

وَعِبَادُ الرحمن الذين يَمْشُونَ على الأرض هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلاَماً } [الفرقان : 63] ، وقال تعالى : { وَإِذَا سَمِعُواْ اللغو أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الجاهلين } [القصص : 55] وما ذكره تعالى هنا من أن إبراهيم لما أقنع أباه بالحجة القاطعة ، قابله أبوه بالعنف والشدة – بين في مواضع أخر أنه هو عادة الكفار المتعصبين لأصنامهم ، كلما أفحموا بالحجة القاطعة لجؤوا إلى استعمال القوة، كقوله تعالى عن إبراهيم لما قال له الكفار عن أصنامهم : { لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هؤلاء يَنطِقُونَ } [الأنبياء : 65] قال { أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله أَفَلاَ تَعْقِلُونَ } [الأنبياء : 67] فلما أفحمهم بهذه الحجة لجؤوا إلى القوة ، كما قال تعالى عنهم : { قَالُواْ حَرِّقُوهُ وانصروا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ } [الأنبياء : 68] . ونظيره قوله تعالى عن قوم إبراهيم : { فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ اقتلوه أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ الله مِنَ النار } [العنكبوت : 24] الآية ، وقوله عن قوم لوط لما أفحمهم بالحجة : { فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قالوا أخرجوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ } [النمل : 56] الآية ، إلى غير ذلك من الآيات"0[1] .

– أيضا في سياق قوله تعالى : ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾[الملك:10].

هذه حجة على الكفار بألسنتهم ، و يورد الشنقيطي حججا أخرى من القرآن تحسب عليهم، و هي كالتالي : "{ خَتَمَ الله على قُلُوبِهِمْ وعلى سَمْعِهِمْ } [البقرة : 7] .

وقال: { إِنَّا جَعَلْنَا على قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً } [الكهف : 57].

وقد بين هذا الذي ذكره رحمة الله تعالى علينا وعليه عدة نصوص صريحة في ذلك ، منها أصل خلقتهم الكاملة في قوله تعالى { إِنَّا خَلَقْنَا الإنسان مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً } [الإنسان : 2] . و في آخر سورة الملك هذه قوله { قُلْ هُوَ الذي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السمع والأبصار والأفئدة قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ } [الملك : 23] . و لكنهم سمعوا وعصوا ، كما في قوله : { سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ العجل بِكُفْرِهِمْ } [البقرة : 93] . و هذا ، وإن كان في بني إسرائيل ، إلا أنه قال لهذه الأمة : { وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ } [الأنفال : 21] ، وقال تعالى عنهم : { قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هذا } [الأنفال : 31] .

وقوله عنهم : { وَقَالَ الذين كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لهذا القرآن والغوا فِيهِ } [فصلت : 26] وقد بين تعالى سبب عدم استفادتهم بما يسمعون في قوله تعالى : { وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ

أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ الله تتلى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتخذها هُزُواً } الجاثية : 7 – 9] . و قوله : { وَإِذَا تتلى عَلَيْهِ آيَاتُنَا ولى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا }[لقمان:7]. فقولهم هنا : { لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ } أي سماع تعقل وتفهم"1[1].

– **التدرج بالحجة** : في قوله تعالى ﴿ **ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ**﴾[التين:5] .

فالوارد في هذه الآية يعد أقوى إذا ما قورن بآيات بالسياق نفسه ، و الشنقيطي يقول في هذا المضمون : " كما في قوله تعالى : { وَمَن نّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الخلق } [يس : 68] . و ذكر الشيخ رحمة الله تعالى **علينا2**[1] وعليه هذا القول ، وساق معه قوله : { الله الذي خَلَقَكُمْ مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً } [الروم : 54] ، وساق آية التين هذه { ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ } [التين : 5] ، وقال : على أحد التفسيرين ، وقوله : { وَمِنكُمْ مَّن يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ العمر لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً } [الحج : 5] ، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس رواه ابن جرير"3[1] .

إن الحجاج من طريق التفسير، لأبين و أوضح لطبيعة المدونة التي هي اعتبارا خطابا دينيا يستوجب الإقناع، و قد بين توظيف الحجاج، في أن الآي القرآني يعضد بعضه بعضاً و يشهد لبعضه البعض، بالحجة و البرهان سواء ما وقع باللغة أو ما وقع بالعلاقة المنطقية، و الحجاج في تفسير الشنقيطي كثير جدا، لا يمكن أن نحصره في بعض الأسطر، و لكنه يتطلب بحوثاً كثيرة، و لأن الاستشهاد و الاحتجاج خرج إلى سياقات غير قرآنية، جعلنا هذا ندرج عنصراً بالسياق المستشهد به غير القرآني، فماذا يمكن أن نجد فيه ؟

- **سياق الاستشهاد بغير القرآن :**

إضافة إلى ما قد قلناه في الحجاج، فإن موضوع الاحتجاج باب متسع جدا، و لذلك عقدنا عنصراً خاصاً بالاستشهاد بغير القرآن، و ما نقصده هنا هو الحديث النبوي، و أقوال العلماء، و من الكلام المنظوم، و الشعر، و ذلك حتى نستوفي بصورة نسبية المقولات، التي عضدت كلام الشنقيطي من قريب أو من بعيد، و نبدأ بما هو موجود في تفسير الشنقيطي من حديث شريف :

✓ **الاستشهاد بالحديث** : في قوله تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾[النحل:89] . يقول الشنقيطي على هذا الاعتبار :

"وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ علي » قال: فقلت يا رسول الله ، أأقرأ عليك وعليك نزل؟! قال : « نعم . أني أحب أن أسمعه من غيري » فقرأت « سورة النساء » حتى أتيت إلى هذه الآية : { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ على هؤلاء شَهِيداً } [النساء : 41] فقال : « حسبك الآن » فإذا عيناه تذرفان"[4] .

– أيضا في قوله تعالى : ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾[الإسراء:36] . يقول الشنقيطي : " و في الحديث : « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث »"[5] .

كان استشهاده بالحديث النبوي كثيراً و في سياقه من القول، لأنه كما هو معلوم فإن الحديث الشريف جاء ليبسط معاني القرآن في الأساس، لذلك فقد تناسب القولان في المعنى و القصد، و زيادة على هذا فالسياقات الحديثية تتظافر لتفصيل مجمل، أو لتخصيص عام، في الخطاب القرآني، و ماذا الآن بشأن الاستشهاد بكلام العلماء ؟

– **الاستشهاد بكلام العلماء** : في قوله تعالى ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ**﴾[الأعراف:54] . يقول الشنقيطي : " هُوَ مَعْنَى قَوْلِ **الْإِمَامِ مَالِكٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ : الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ "[6] .

– في قوله تعالى أيضا : ﴿ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا** ﴾[مريم:59] . فيقول الشنقيطي : " وَقَالَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، مِنْهُمُ **الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ** رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَصْحَابُهُ ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، وَالْمُزَنِيُّ صَاحِبُ الشَّافِعِيِّ : إِنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ عَمْدًا تَكَاسُلًا وَتَهَاوُنًا مَعَ إِقْرَارِهِ بِوُجُوبِهَا لَا يُقْتَلُ وَلَا يُكَفَّرُ ، بَلْ يُعَزَّرُ وَيُحْبَسُ حَتَّى يُصَلِّيَ"[7].

– في قوله تعالى أيضا : ﴿ **وَ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾[النحل:14] . يقول الشنقيطي في سياقها : " أَمَّا قَوْلُ **الشَّافِعِيِّ** : وَلَا أَكْرَهُ لِلرَّجُلِ لُبْسَ اللُّؤْلُؤِ ، إِلَّا لِأَنَّهُ مِنْ زِيِّ النِّسَاءِ ، فَلَيْسَ مُخَالِفًا لِذَلِكَ ; لِأَنَّ مُرَادَهُ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِي النَّهْيِ عَنْهُ بِخُصُوصِهِ شَيْءٌ"[8].

– و في قوله تعالى أيضا : ﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ** ﴾[البقرة:173] . فيقول الشنقيطي: "وَأَمَّا مَذْهَبُ **الْإِمَامِ أَحْمَدَ** – رَحِمَهُ اللَّهُ – فَهُوَ أَنْ كُلَّ مَا لَا يَعِيشُ إِلَّا فِي الْمَاءِ فَمَيْتَتُهُ حَلَالٌ ، وَالطَّافِي مِنْهُ وَغَيْرُهُ سَوَاءٌ ، وَأَمَّا مَا يَعِيشُ فِي الْبَرِّ مِنْ حَيَوَانِ

الْبَحْرِ فَمَيْتَتُهُ عِنْدَهُ حَرَامٌ ، فَلَا بُدَّ مِنْ ذَكَاتِهِ إِلَّا مَا لَا دَمَ فِيهِ ، كَالسَّرَطَانِ فَإِنَّهُ يُبَاحُ عِنْدَهُ مِنْ غَيْرِ ذَكَاةٍ "[19] .

هذه نماذج أوردناها للتدليل بها على ما ورد من استشهادات العلماء، و لكن يستعين الشنقيطي أيضاً بكلام الشعراء و صانعي المنظومات في تفسيره :

✓ **الاستشهاد بالشعر و المنظوم :**

- في قوله تعالى ﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا** ﴾[مريم:25–26] .

و يورد الشنقيطي أبياتا من الشعر في سياق هذا النص القرآني يقول : "وقد قال بعضهم في ذلك:

ألم تر أن الله قال لمريم ... وهزي إليك الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزه ... جنته ولكن كل شيء له سبب

وقد أخذ بعض العلماء من هذه الآية – أن خير ما تطعمه النفساء الرطب ، قالوا : لو كان شيء أحسن للنفساء من الرطب لأطعمه الله مريم وقت نفاسها بعيسى ، قاله الربيع بن خيثم وغيره . والباء في قوله { و هزى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النخلة } [مريم : 25] مزيدة للتوكيد ، لأن فعل الهز يتعدى بنفسه، وزيادة حرف الباء للتوكيد قبل مفعول الفعل المتعدي بنفسه كثيرة في القرآن وفي كلام العرب ... نظير ذلك من كلام العرب قول أمية بن أبي الصلت الثقفي :

إذ يسقون بالدقيق وكانوا ... قبل لا يأكلون خبزاً فطيرا

لأن الأصل يسقون الدقيق فزيدت الباء للتوكيد . وقول الراعي :

هن الحرائر لا ربات أخمرة ... سود المعاجر لا يقرأن بالسور

فالأصل : لا يقرأن السور ، فزيدت الباء لما ذكر . وقول يعلى الأحول اليشكري أو غيره :

بواد يمان ينبت الشث صدره ... و أسفله بالمرخ والشبهان

فالأصل : وأسفله المرخ؛ أي وينبت أسفله المرخ ، فزيدت الباء لما ذكر وقول الأعشى :

ضمنت برزق عالينا أرماحنا ... ملء المراجل والصريح الأجردا

فالأصل ضمنت رزق عيالنا . وقول الراجز :

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج ... نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

أي نرجو الفرج . وقول امرىء القيس :

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت ... هصرت بغصن ذي شمارخ ميال"[20].

- و المنظوم في سياق قوله تعالى : ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ**﴾[آل عمران:7].

فيقول الشنقيطي مستشهدا بمراقي السعود : " وَأَشَارَ فِي «مَرَاقِي السُّعُودِ» إِلَى حَدِّ التَّأْوِيلِ ، وَبَيَانِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ بِقَوْلِهِ مُعَرِّفًا لِلتَّأْوِيلِ : [الرَّجَزِ]

حَمْلٌ لِظَاهِرٍ عَلَى الْمَرْجُوحِ ... وَاقْسِمْهُ لِلْفَاسِدِ وَالصَّحِيحِ

صَحِيحُهُ وَهُوَ الْقَرِيبُ مَا حَمَلَ ... مَعَ قُوَّةِ الدَّلِيلِ عِنْدَ الْمُسْتَدِلِّ

وَغَيْرُهُ الْفَاسِدُ وَالْبَعِيدُ ... وَمَا خَلَا فَلَعِبًا يُفِيدُ

إِلَى أَنْ قَالَ : [الرَّجَزِ]

فَجَعْلُ مِسْكِينٍ بِمَعْنَى الْمُدِّ ... عَلَيْهِ لَائِحُ سِمَاتِ الْبُعْدِ

كَحَمْلِ امْرَأَةٍ عَلَى الصَّغِيرَةِ ... وَمَا يُنَافِي الْحُرَّةَ الْكَبِيرَةَ

وَحَمْلُ مَا وَرَدَ فِي الصِّيَامِ ... عَلَى الْقَضَاءِ مَعَ الِالْتِزَامِ

أَمَّا التَّأْوِيلُ فِي اصْطِلَاحِ خَلِيلِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمَالِكِيِّ الْخَاصِّ بِهِ فِي «مُخْتَصَرِهِ» ، فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ اخْتِلَافِ شُرُوحِ «الْمُدَوَّنَةِ» فِي الْمُرَادِ عِنْدَ مَالِكٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَأَشَارَ لَهُ فِي «الْمَرَاقِي» بِقَوْلِهِ : [الرَّجَزِ]

وَالْخَلْفُ فِي فَهْمِ الْكِتَابِ صَيَّرَ ... إِيَّاهُ تَأْوِيلًا لَدَى الْمُخْتَصَرِ "[21] .

الاستشهاد بالشعر و منظومات المعرفة كثير في خطاب الشنقيطي، فالرسول صلوات الله عليه يقول (إن من الشعر حكما و إن من البيان سحرا)، فمعرفة عبارات القرآن تحتاج إلى معرفة كلام العرب و ألفاظها، و يحتاج فيه إلى الاطلاع على شعر القبائل التي وسمت لغتها بالفصاحة، لذلك نلاحظ أن الشنقيطي يستشهد بالشعر فيورد سياقات متتالية في نفس القضية، حتى يقع الفهم بها، و نلاحظه كذلك يستشهد بالمنظومات الفقهية، و النحوية و ما أورده كثير مختلف.

هذا و قد تناول الشنقيطي قضايا أخرى تتصل بعلوم القرآن و تعتبر سياقا موقفياً، من مثل أسباب النزول، و معرفة المكي و المدني، و الإعجاز القرآني، و علوم القرآن كثيرة جدا غير أننا اخترنا بعضها في بحثنا لعلاقته بالمطالب المتاحة، فماذا يمكن أن يوجد في هذه السياقات ؟

- **معرفة علوم القرآن** (سياق الموقف) :

و من الجوانب غير اللغوية – فضلا على ما أسلفنا من ما يتعلق بالتداولية – جانب معرفة علوم القرآن، أو إن صح القول بسياقات الموقف ، و هي كثيرة ، و كان اختيارنا لأسباب النزول و معرفة المكي و المدني مبنيا على أسس منهجية ، و ذلك لعلوق هذه المحاور بالسياق الخارجي بصورة كبيرة ، إذ أن نزول القرآن كان لأسباب و في أماكن جغرافية و اجتماعية محددة لا تتشابه كلياً في نواحيها الثقافية و الفكرية، و تناولنا يستقريء آليات الشنقيطي في ربط أسباب النزول و معرفة المكي و المدني و سياق الإعجاز بالمعنى المنجر من المقارنة التي عقدها الشنقيطي بالآيات التي لها نفس السياق، سواء كان هذا السياق شكليا أو مضمونيا ، و هذا مدعاة لحضور جملة من المقاربات المهمة في التحليل .

• **أسباب النزول** : تكمن أهمية أسباب النزول في أن علم المعاني والبيان مداره على مقتضيات الأحوال، و أن الجهل بأسباب النزول موقع في الإشكالات والشبه، و يعد العلم بسبب النزول مانعا من تعميم الحكم بمفهوم الآية، إلا بما هو مناسب بين وقائع سبب النزول و ما بين المسألة الفقهية، في الشروط المتكافئة، و لذلك نلاحظ أن الشنقيطي يرتكز عليه في التحليل، و نورد الشواهد التالية للتدليل :

– و في سياق قوله تعالى : ﴿**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ**﴾[النحل:83].

و يقول الشنقيطي في هذا الشأن :" وقد أوضح جل وعلا هذا المعنى في آيات كثيرة . كقوله : { قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السمآء والأرض أَمَّن يَمْلِكُ السمع والأبصار وَمَن يُخْرِجُ الحي مِنَ الميت وَيُخْرِجُ الميت مِنَ الحي وَمَن يُدَبِّرُ الأمر فَسَيَقُولُونَ الله فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ } [يونس : 31] . فقوله : { فَسَيَقُولُونَ الله } دليل على معرفتهم نعمته . وقوله : { فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ } دليل على إنكارهم لها . والآيات بمثل هذا كثيرة جداً .

وروي عن مجاهد : أن سبب نزول هذه الآية الكريمة : أن أعرابياً أتى النَّبي صلى الله عليه وسلم فسأله. فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : { والله جَعَلَ لَكُمْ مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً } [النحل : 80] فقال الأعرابي : نعم! قال : { وَجَعَلَ لَكُمْ مِّن جُلُودِ الأنعام بُيُوتاً } [النحل : 80] الآية . قال الأعرابي : نعم! ثم قرأ عليه كل ذلك يقول الأعرابي : نعم! حتى بلغ { كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ } [النحل : 81] فولى الأعرابي . فأنزل الله : { يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ الله ثُمَّ يُنكِرُونَهَا } [النحل : 83]"2[2] .

- و في سياق قوله تعالى : ﴿ **فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا** ﴾[النساء:15] .

يقول الشنقيطي : " وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ حُكْمَ الرَّجْمِ مَأْخُوذٌ أَيْضًا مِنْ آيَةٍ أُخْرَى مُحْكَمَةٍ غَيْرِ مَنْسُوخَةِ التِّلَاوَةِ ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ، **فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِي** الْيَهُودِيِّ وَالْيَهُودِيَّةِ اللَّذَيْنِ زَنَيَا وَهُمَا مُحْصَنَانِ وَرَجَمَهُمَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَمُّهُ تَعَالَى فِي هَذَا الْكِتَابِ لِلْمُعْرِضِ عَمَّا فِي التَّوْرَاةِ مِنْ رَجْمِ الزَّانِي الْمُحْصِنِ ، دَلِيلٌ قُرْآنِيٌّ وَاضِحٌ عَلَى بَقَاءِ حُكْمِ الرَّجْمِ ، وَيُوَضِّحُ مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ لَهُنَّ السَّبِيلَ بِالْحَدِّ ، قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّحِيحِ : «خُذُوا عَنِّي ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا» الْحَدِيثَ"[2]3 .

كان ما أوردناه من نماذج متعلقا بأسباب النزول، و كيف أن أسباب النزول كانت بمثابة السياق الموقفي، الذي ساعد على تقريب صورة كيفية نشوء الحكم من البداية من النص القرآني، و بالتالي ربطه بمقتضيات الأحكام التي تجيء من بعده، و هذا أفاد منه الشنقيطي أيما إفادة، فاستعمله و هو يقارن في نفس الوقت ما بين الآيات، و لكن أسباب النزول لا تكفي وحدها حتى يعرف المكان الذي نزلت به الآية، أنزلت بمكة ؟ أم نزلت بالمدينة ؟ جواب هذا في ما يلي :

معرفة المكي و المدني :

من فائدة الاطلاع على ما هو مكي من ما هو مدني، هو معرفة أحكام اختلاف الدارين مكة و المدينة، و مراعاة الظروف و المناسبات و أحوال المكلفين بها، و كيف كان حال المهاجرين و ما طبيعة أحكامهم ؟، و كيف كان حال الأنصار و ما طبيعة أحكامهم ؟، و لمعرفة ما يتعلق بهذا دون ذاك لابد من معرفة ما نزل بمكة، و معرفة ما نزل بالمدينة، حتى تعرف الضوابط التي تحكم الفقه من ملابسات، و الشنقيطي لم يغفل هذا الجانب، و أولاه أهمية خاصة في الشواهد التالية :

- في قوله تعالى : ﴿ **وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ** ﴾[الأنعام:119] .

يقول الشنقيطي : " التَّحْقِيقُ أَنَّهُ فَصَّلَهُ لَهُمْ بِقَوْلِهِ : {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً} الْآيَةَ [الآية 145] ، وَمَعْنَى الْآيَةِ : أَيُّ شَيْءٍ يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مَا ذَكَّيْتُمْ ، وَذَكَرْتُمْ عَلَيْهِ اسْمَ اللَّهِ ؟ ، وَالْحَالُ أَنَّ اللَّهَ فَصَّلَ لَكُمُ الْمُحَرَّمَ أَكْلُهُ عَلَيْكُمْ فِي قَوْلِهِ : {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ} الْآيَةَ ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْهُ .

وَمَا يَزْعُمُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ مِنْ أَنَّهُ فَصَّلَهُ لَهُمْ بِقَوْلِهِ : {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ} الْآيَةَ [المائدة:3] ، فَهُوَ غَلَطٌ ; لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ} مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ ، وَهِيَ مِنْ آخِرِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ **بِالْمَدِينَةِ** ، وَقَوْلُهُ : {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ}، مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ ، وَهِيَ **مَكِّيَّةٌ** ، فَالْحَقُّ هُوَ مَا ذَكَرْنَا ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى"[2]4.

– و في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ** ﴾[الإسراء:60] .

يقول الشنقيطي : " بَيَّنَ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : أَنَّهُ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ; أَيْ فَهُمْ فِي قَبْضَتِهِ يَفْعَلُ فِيهِمْ كَيْفَ يَشَاءُ فَيُسَلِّطُ نَبِيَّهُ عَلَيْهِمْ وَيَحْفَظُهُ مِنْهُمْ .

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : وَمِنَ الْآيَاتِ الَّتِي فَصَّلَتْ بَعْضَ التَّفْصِيلِ فِي هَذِهِ الْإِحَاطَةِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} [القمر:45] ، وَقَوْلُهُ : {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ} الْآيَةَ [آل عمران:12] ، وَقَوْلُهُ : {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة:67] ، وَفِي هَذَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ **مَكِّيَّةٌ**، وَبَعْضُ الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ **مَدَنِيٌّ** . أَمَّا آيَةُ الْقَمَرِ وَهِيَ قَوْلُهُ : {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ} [القمر:45] ، الْآتِيَةُ فَلَا إِشْكَالَ فِي الْبَيَانِ بِهَا لِأَنَّهَا **مَكِّيَّةٌ**"[2]5 .

هذا التناول للشواهد عرفنا به مقدار القيمة التي هي للمكان، فالمكان (بفعاليته) له دور عظيم في استقامة مقاصد الموقف وفق اعتبارات ما نزل من آيات أولاً، و في صيرورة المكان مقاسا للأحكام على تناسبها بالمقتضيات ثانياً، ذلك أن سياقات الموقف ممثلة في معرفة المكي و المدني و أسباب النزول في ارتباطها بعلوم القرآن تؤسس لانبثاق معاني الخطاب القرآني بصورة تقترب من الرؤية الحقيقية للمتصور من المعنى المثالي، و هكذا كان الشنقيطي، يأخذ المعنى من فاعلية سياق أصغر (بنية) ليضعه في فاعلية سياق أكبر (خارج)، فيتمخض إلى المحصول المستنتج ، فماذا عن السياق المذهبي ؟

• **السياق المذهبي :**

– في قوله تعالى : ﴿ **وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ** ﴾[البقرة:241] .

يقول الشنقيطي :" ظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الْمُتْعَةَ حَقٌّ لِكُلِّ مُطَلَّقَةٍ عَلَى مُطَلِّقِهَا الْمُتَّقِي ، سَوَاءٌ أُطَلِّقَتْ قَبْلَ الدُّخُولِ أَمْ لَا ؟ فَرَضَ لَهَا صَدَاقٌ أَمْ لَا ؟ وَيَدُلُّ لِهَذَا الْعُمُومِ قَوْلُهُ تَعَالَى : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا} [الأحزاب:28] ، مَعَ قَوْلِهِ : {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي

رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} الْآيَةَ [الأحزاب:21] ، وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي الْأُصُولِ أَنَّ الْخِطَابَ الْخَاصَّ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُمُّ حُكْمُهُ جَمِيعَ الْأُمَّةِ إِلَّا بِدَلِيلٍ عَلَى الْخُصُوصِ كَمَا عَقَدَهُ فِي «مَرَاقِي السُّعُودِ» بِقَوْلِهِ : [الرَّجَزِ]

وَمَا بِهِ قَدْ خُوطِبَ النَّبِيُّ ... تَعْمِيمُهُ فِي الْمَذْهَبِ السُّنِّيِّ

وَهُوَ **مَذْهَبُ** الْأَئِمَّةِ الثَّلَاثَةِ ، خِلَافًا لِلشَّافِعِيِّ الْقَائِلِ بِخُصُوصِهِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بِدَلِيلٍ عَلَى الْعُمُومِ ، كَمَا بَيَّنَاهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ"[26] .

– و في قوله تعالى :﴿**وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾[المائدة:6] .

يقول الشنقيطي في سياقها : "أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى جَوَازِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ; وَقَالَ **الشِّيعَةُ وَالْخَوَارِجُ** : لَا يَجُوزُ ، وَحَكَى نَحْوَهُ الْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ دَاوُدَ ، وَالتَّحْقِيقُ عَنْ **مَالِكٍ** ، وَجُلِّ أَصْحَابِهِ ، الْقَوْلُ بِجَوَازِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفِّ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ .

وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ الْمَنْعُ مُطْلَقًا ، وَرُوِيَ عَنْهُ جَوَازُهُ فِي السَّفَرِ دُونَ الْحَضَرِ .

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : لَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَنْكَرَهُ إِلَّا **مَالِكًا** فِي رِوَايَةٍ أَنْكَرَهَا أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ ، وَالرِّوَايَاتُ الصَّحِيحَةُ عَنْهُ مُصَرِّحَةٌ بِإِثْبَاتِهِ ، وَمُوَطَّأُهُ ، يَشْهَدُ لِلْمَسْحِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ ، وَعَلَيْهِ جَمِيعُ أَصْحَابِهِ ، وَجَمِيعُ أَهْلِ السُّنَّةِ .

وَقَالَ الْبَاجِيُّ : رِوَايَةُ الْإِنْكَارِ فِي «الْعُتْبِيَّةِ» وَظَاهِرُهَا الْمَنْعُ ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهَا أَنَّ الْغَسْلَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَسْحِ، قَالَ ابْنُ وَهْبٍ : آخِرُ مَا فَارَقْتُ مَالِكًا عَلَى الْمَسْحِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ ; وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ ، فَمَا قَالَهُ ابْنُ الْحَاجِبِ عَنْ مَالِكٍ مِنْ جَوَازِهِ فِي السَّفَرِ دُونَ الْحَضَرِ غَيْرُ صَحِيحٍ ، لِأَنَّ الْمَسْحَ عَلَى الْخُفِّ مُتَوَاتِرٌ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، قَالَ الزُّرْقَانِيُّ فِي شَرْحِ «الْمُوَطَّأِ» : وَجَمَعَ بَعْضُهُمْ رُوَاتُهُ فَجَاوَزُوا الثَّمَانِينَ ، مِنْهُمُ الْعَشَرَةُ ، وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرُهُ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، حَدَّثَنِي سَبْعُونَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِالْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ"[27] .

فالسياق المذهبي يحدد المعنى من منطلق الخلاف ما بين المذاهب، فعندما تعقد المقارنة يظهر الفارق الذي يعضد الراجح و يستبعد المرجوح . هذا و يصل بنا البحث إلى إجراء أخير من علوم القرآن، و هو معرفة الإعجاز في القرآن، فبما يحيل عليه من مظاهر تعجيزية في القرآن الكريم بإمكاننا أن نسميه آلية التعجيز .

- **سياق الإعجاز :**

و إعجاز القرآن "مركب إضافي معناه بحسب أصل اللغة إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، فهو من إضافة المصدر لفاعله والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به، والتقدير إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به، ولكن التعجيز المذكور ليس مقصودا لذاته بل المقصود لازمه وهو إظهار أن هذا الكتاب حق وأن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جاء به رسول صدق وكذلك الشأن في كل معجزات الأنبياء ليس المقصود بها تعجيز الخلق لذات التعجيز، ولكن للازمة، وهو دلالتها على أنهم صادقون فيما يبلغون عن الله فينتقل الناس من الشعور بعجزهم إزاء المعجزات إلى شعورهم وإيمانهم بأنها صادرة عن الإله القادر لحكمة عالية، وهي إرشادهم إلى تصديق من جاء بها ليسعدوا باتباعه في الدنيا والآخرة"28، و قد أشار كل من وجهة بحثه إلى إعجاز القرآن، فمثلا الباحث في اللغة و البلاغة يقول بأن الإعجاز في الأسلوب و البيان و هو صحيح، و الباحث في الفكر و الفلسفة يقول بأن الإعجاز إنما هو في الأفكار العظيمة التي جاء بها .. وهكذا، و الشنقيطي يلج هذا الباب في الشاهد التالي باعتباره نموذجا :

-في سياق قوله تعالى : ﴿**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾[هود:1] .

يقول الشنقيطي في ما ورد من الحروف المقطعة –و قد أوردنا هذا في سياق سابق–: "أَمَّا الْقَوْلُ الَّذِي يَدُلُّ اسْتِقْرَاءُ الْقُرْآنِ عَلَى رُجْحَانِهِ فَهُوَ : أَنَّ الْحُرُوفَ الْمُقَطَّعَةَ ذُكِرَتْ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِيهَا **بَيَانًا لِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ** ، وَأَنَّ الْخَلْقَ **عَاجِزُونَ** عَنْ مُعَارَضَتِهِ بِمِثْلِهِ مَعَ أَنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ الَّتِي يَتَخَاطَبُونَ بِهَا ، وَحَكَى هَذَا الْقَوْلَ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنِ الْمُبَرِّدِ ، وَجَمْعٍ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ ، وَحَكَاهُ الْقُرْطُبِيُّ عَنِ الْفَرَّاءِ ، وَقُطْرُبٍ ، وَنَصَرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ تَيْمِيَةَ ، وَشَيْخُنَا الْحَافِظُ الْمُجْتَهِدُ أَبُو الْحَجَّاجِ الْمِزِّيُّ ، وَحَكَاهُ لِي عَنِ ابْنِ تَيْمِيَةَ .

و وَجْهُ شَهَادَةِ اسْتِقْرَاءِ الْقُرْآنِ لِهَذَا الْقَوْلِ : أَنَّ السُّوَرَ الَّتِي افْتُتِحَتْ بِالْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ يُذْكَرُ فِيهَا دَائِمًا عَقِبَ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ الِانْتِصَارُ لِلْقُرْآنِ **وَبَيَانُ إِعْجَازِهِ** ، وَأَنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ"29 .

إن ما تكلم عنه الشنقيطي من نماذج تؤيد الإعجاز، لهي أبلغ في الإشارة إليه، و أوضح في بيان مظاهره، و هذا يدل على أن آلية التعجيز لخاصة بالخطاب القرآني دون سواه، و إنما ما يقع من البشر هو التخييل –بحسب حازم القرطاجني– و الإيهام في خطاباتهم الأدبية، و لقد بين لنا الإعجاز في الشواهد أعلاه أن القرآن معجز بلفظه و معناه في الزمان و المكان، و ليس لأن الله صرف الناس على أن يأتوا بمثله حسب ما يقول به النظام زعيم المعتزلة، و "مما يبطل القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزا وإنما يكون المنع معجزا فلا يتضمن الكلام فضلا على غيره في نفسه "30، و هكذا يكون الأمر، فالتعجيز هنا كان من الحروف المقطعة ثم أن الله هو الوحيد القادر على الخلق، و مظهر انقلاب سحرة فرعون عليه و إيمانهم بالنبي موسى، و غيره كثير مما لم يسمح المجال لتناوله.

الإحــالات :

[1] مجلة الآداب و اللغات– الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، مسعود صحراوي– عدد6– جامعة الأغواط–2007 .

[2] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج4 : 122 و 123 .

[3] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج4 : 370 و 371 .

[4] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج3 : 49 .

[5] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج3 : 82 .

[6] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج9 : 12 .

[7] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج1 : 306 .

[8] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج7 : 486 .

[9] الحباشة، صابر– التداولية والحجاج: 17 إلى 19، صفحات للدراسات والنشر، ط1، سورية،2008 .

[10] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج4 : 203 و 204 .

[11] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج8 : 194 .

[12] الكلام للشيخ عطية سالم أحد تلامذة الشنقيطي ، و الذي أتم عمله في هذا التفسير .

[13] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج9 : 143 .

[14] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج3 : 225 .

[15] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج3 : 381 .

[16] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج2 : 213 .

[17] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج4 : 226 .

[18] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج3 : 161 .

[19] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج1 : 95 .

[20] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج4 : 179 و 180 .

[21] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج1 : 209 و 210 .

[22] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج3 : 220 و 221 .

[23] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج1 : 240 .

[24] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج2 : 139 .

[25] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج3 : 397 .

[26] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج1 : 177 .

[27] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج2 : 14 و 15 .

[28] الزرقاني، محمد عبد العظيم – مناهل العرفان في علوم القرآن : 331، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، مصر، دتط .

[29] الشنقيطي ، محمد الأمين – أضواء البيان ، ج3 : 6 .

[30] الزركشي، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله – البرهان في علوم القرآن ج2 : 94